استدراكاتُ ابنِ قيّم الجوزيةِ في كتابِه بدائع الفوائد على السّهيليِّ

م.م ليث شاكر محمود جراد

المديرية العامة لتربية الأنبار

E- mail : Liath_sh2001@yahoo.com

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى كشف أهم الاستدراكات التي أدركها ابن القيّم على السهيليّ في كتاب بدائع الفوائد التي ربما غفل عنها في أثناء التأليف ، بالرغم من أنَّ ابن القيّم كان لاحقاً للسهيليِّ بما يقارب القرنين إلا أنَّه استطاع أن يستدرك عليه ما فاته من فوائد ومواطن استطاع من خلالها أن يثبتَ لنفسه آراءً كانت خاصةً به ، فنراه في عدد من المـــــواضع يفنّد بعضها وقد يرجح بعضها ، وينتقد بعضها ، ويعترض عليها ، ويستطرد في التعقيب ، ويحرر العبارات .

فأهل العلم قديماً وحديثاً يستدرك بعضهم على بعض ، فالمعرفة تراكمية المترع ، يبدأ السابق بتأليف كتابٍ ما إلى أن يقف عند حدٍ يراه مناسباً بحسب طاقته وجهده ، ويأتي مؤلفٌ بعده فيضيف ، ويعلِّق ، ويصحح ، فقد استدرك سيبويه على الخليل ، وغيره ، والمبرد على سيبويه ، وهكذا دواليك ، وحسبنا قول الله جلَّ في علاه :﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾[يوسف: ٧٦] .

Abstract

This paper aims at finding out the important recantations which Ibn Al-Qaim tried to get against Al-Suhaili in Bada'a Al-Fawa'd book which it may be forget during establishing . In spite the fact that Ibn Al-Qaim was after Al-Suhaili about two centuries, he recanted to get what he missed of benefits and positions which was able to prove for himself specific opinions . We saw him in some positions, refuted some of it, overbalanced some of it, and criticized some of it, rejected some of it, digressed in commentary and liberated the phrases . People of science lastly and recently recant each one with the other .

The accumulative knowledge place means that the previous starts to establish a book until he gets to a proper stoppage according to his energy and efforts . After that an author comes after him adds. Comments and corrects . Sibawaih was recanted on Al-Khalil and others . Al-Mubred on Sibawaih and so on . as Allah said in the Holy Quran ((Over all Endued with Knowledge is One, The All Knowing)) surah Yusuf -76 .

المقدمة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابهومن والاه ، وبعد .

جاء في الصحاح : الإدْرَاكُ بمعنى اللُحوقُ . يقال : مشيتُ حتى أدْرَكْتُهُ ، وعِشْتُ حتى أدْرَكْتُ زمانه . وأدْرَكْتُهُ بِبَصَري ، أي : رأيْتُهُ . واسْتَدْرَكْتُ ما فات وتَدَارَكْتُهُ ، بمعنىً . وتَدَارَكَ القومُ ، أي : تلاحقوا ، أي : لحق آخرهم أوَّلهم . ومنه قوله تعالى :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا ﴾[الأعراف : 38]، وأصلـــــه : تَدَارَكُوا ، فأدغمت التاء في الدال واجْتُلِبَت الألف ؛ ليسلم السكون .[1]

وقال ابن منظور : « وَاسْتَدْرَكَ الشَّيءَ بالشَّيءِ : حاول إدْراكَهُ بِهِ »[2] ، في حين نصَّ أبو البقاء الكفوي على أنَّ الاسْتَدْرَاكَ : (هو دفع توهم يتولد من الكلام المتقدم دفعاً شبيهًا بالاستثناء)[3] .

والذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع الجليل هو كثرة الاستدراكات التي قرأتُها في كتاب بدائع الفوائد ، وما فيها من فوائد جمّة تنفعُالقارئَ لها ، وإبراز ما للعَالِمَين من آراء ونصوص تكملُ بعضها بعضاً للوصول إلى ما يقارب الصواب في المسائل ، فالموضوع جاء ليبرز أهمية كتابين هما : بدائع الفوائد لابن القيّم ونتائج الفكر للسهيليّ ، ويبيّن بعض المسائل النحوية بينهما ، والصلة الوثيقة بينهما ، ثُمَّ الإشارة إلى أهمية كلّ منهما في علوم العربية ،وأمثلة الاستدراك كثيرة لا مجال لذكرها هنا .

فالاستدراك إذاً يقوم على الزيادات والإضافات التي يدرك بها اللاحق ما فات السابق . ولذلك قمتُ في بحثي هذا بإيراد أهم الاستدراكات التي أدركها ابن القيم على السهيليِّ في عدة مواضع سندرسها في الورقات الآتية إن شاء الله .

فعلى هـــذا كان البحث في ثلاثة عنوانات رئيسة بعد توفيق الله تعالى ، الأوّل : سيرة الإمام ابن قيم الجوزية موجزة ، والثاني : سيرة الإمام أبي القاسم السهيليّ موجزة أيضاً ، والثالث : استدراكات ابن القيّم على السهيليّ في بدائع الفوائد .

أوّلاً : ابن القيّم[4] :

اسمه ومولده :

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أَبي بكر بن أَيوب الزّرعي الدمشقي ، الشهير بابن قيم الجوزية ، ولد ابن القيّم في السابع من صفر سنة (691هـــ) .

مؤلفاته :

من أَبرز مؤلفات ابن القيّم هي :

1. بدائع الفوائد .
2. اجتماع الجيوش الإسلامية في الردِّ على المعطلة والجهمية .
3. الفوائد .
4. الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية .
5. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة .
6. نونية ابن القيّم .

وفاته :

توفى ابن القيّم في الثالث عشر من رجب سنة (751هـــ) ، وله من العمر ستون سنة .

ثانياً : أبو القاسم السهيليّ :

اسمه ومولده :

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيليّ ، وله عند المترجمين كُنيتان هما : أبو القاسم ، وأبو زيد ، وزاد الذهبي أيضاً أبا الحسن ، ولكن ما اشتهر به السهيليّ في كتب النحو وغيرها أبو القاسم[5] .

ولد سنة ثمانٍ وخمسمائة بمدينة مالقة ، وهي مدينة كبيرة بالأندلس ، وتلقّى علومه المتنوعة عن أجلاء علماء الأندلس في القرن السادس كابن العربي المالكي ، وسليمان بن يحيى ، وأبي منصور ابن الخير ، وشريح بن محمد ، وأبي عبد الله بن مكي ، وبرز من شيوخه في علم العربية خاصةً أبو الحسين ابن الطراوة[6] ، فقد كان له فضل كبير في توجيه ملكة السهيليّ النحوية وإبداعه في مجال الأدب ونبوغه في مجال الحديث عن إعجاز القرآن الكريم .

على أنّ المتدبّر لكتب هذا الإمام لا بدَّ أن يُعجَبَ بإبداعه ونبوغه في كثيرٍ من مسائل اللغة والنحو والبلاغة ممّا لم يُعهد عند السابقين له[7] .

« كان السهيليّ واسعَ المعرفة غزير العلم ، نحوياً متقدّماً لغوياً عالماً بالتفسير وصناعة الحديث عارفاً بالرجال والأنساب ، عارفاً بعلم الكلام وأُصول الفقه حافظاً للتاريخ القديم والحديث ذكياً نبيهاً ، صاحب اختراعات واستنباطات مستغربة »[8] .

مؤلفاته[9] :

من أبرز مؤلفات السهيليّ هي :

1. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية .
2. شرح الجمل .
3. التعريف والإعلام بما في القرآن من الأسماء والأعلام .
4. مسألة السر في عور الدجال .
5. مسألة رؤية الله والنبي في المنام .
6. نتائج الفكر في النحو وهو الكتاب الذي نحن بصدده .
7. الأمالي .

وفاته :

توفي الإمام السُّهيليُّ ليلة الخميس خامس عشري شوال سنة إحدى وثمانين وخمسمائة[10] .

ثالثاً : استدراكات ابن قيّم الجوزية :

أخذ ابن قيّم الجوزية في استدراكه ألواناً عبّر عنها بعبارات وألفاظ شغلت الحيّز الكبير من الشرح ، واستدراكاته لم تكن مقتصرةً على مسائل خاصة بل تعدّى إلى مختلف المسائل اللغوية ، ومن عبارات الاستدراك (فيه معنى هو أحسن من المعنيين اللذين ذكرهما السهيليّ ...) و (وعندي فيه جواب أحسن من هذا ...) و (وعندي فيه علة ثانية ...) و (وفيه فرق أحسن من هذا ...) وغيرها ، وفيما يأتي عرض مبسوط لأهم الاستدراكات التي تناولها .

أ- إعراب « الرحمن » من قوله تعالى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾ :

ذهبَ قومٌ إلى أنّه نعت ، وذهب آخرون إلى أنّه بدل من الله ، واستبعدوا النعت فيه ؛ لأنّه علم ، وإن كان مشتقاً من الرحمة ، ولكنّه ليس بمنزلة الرحيم ولا الراحم وغير ذلك ممّا يطرد القياس فيه ، ويكثر في النعوت مثله .[11]

«وأمّا « الرحمن » فإنّــه مختص بالعلمية ومصنــوع لها ، كما أنّ « الدبران »[12] وإن كان مشتقاً من « دبرت » ولكنّه صيغ للعلمية ، فجاء على بناء لا يكون في النعوت .

ويدلُك على أنّه (علم) وروده في القرآن غير تابع لاسم قبله ، كما ورد غيره من الأسماء التي لا تجري مجرى الأعلام . فلمّا ثبت أنّه علم امتنع أنْ يكون نعتاً ؛ لأنّ العلم ينعت ولا ينعت به ، وإذا امتنع أنْ يكون نعتاً لم يبقَ إلا أن يكون بدلاً من الله . هذا منتهى قولهم ، واليه ذهب الأعلم[13]»[14].

«والبدل عندي (السهيليّ) فيه ممتنع ، وكذلك عطف البيان ؛ لأنّ الاسم الأوّل لا يفتقر إلى تبيين ، لأنّه أعــرف الأسماء كلّها وأبينهـــا ، ألا تــرى أنهم قالوا :﴿وَمَاالرَّحْمَنُ﴾[الفرقان : 60]؟ و لم يقــولوا : وما الله ؟ولكنّــه – وإن كان يجــري مجرى الأعلام – فإنّه مشتق من الرحمة ، فهو وصف يراد به الثناء ، وكذلك الرحيم ، إلا أنّ الرحمن من أبنية المبالغة كغضبان ونحوه ، وإنّما دخله معنى المبالغة من حيث كان في آخره ألف ونون ، كالتثنية ، فإنّ التثنية في الحقيقة تضعيف ، وكذلك هذه الصفة ، فكأنّ غضبان وسكران كامل لضعفين من لغضب والسكر فكان اللفظ مضارعاً للفظ التثنية ؛ لأنّ التثنية ضعفان في الحقيقة ، ألا ترى أنّهم أيضاً قد شبهوا التثنية بهذا البناء ، إذا كانت لشيئين متلازمين فقالوا : الجلمان والقلمان ، فأعربوا النون كأنّه اسم لشيء واحد ، فقالوا : اشترك باب فعـــــلان وبــاب التثنيـــة ، ومنه قــول فاطمة – رضي الله عنها – في نداء ابنها : « يــا حسنان، يا حسينان »[15] برفع النون، ولمضارعة التثنية امتنع جمعه ، فلا يقال في غضبان : " غضبانين " ، وامتنع تأنيثه بالهاء فلا يقال : " غضبانة " ، وامتنع تنوينه كما لا ينون نون المثنى ، فجرت عليه كثير من أحكام التثنية لمضارعته إيّاها لفظاً ومعنىً . وفائدة الجمع بين الصفتين – أعني « الرحمن والرحيم » – وإن كانتا جميعاً من الرحمة ، الإنباء عن رحمة عاجلة ، ورحمة آجلة ، أو عن رحمة عامة وأخرى خاصة حاصلتين لقارئ القرآن والله أعلم »[16] .

وقد سبق الزجاجُ[17] السهيليّ بقولهِ السابق . في حين ذكــر النحاس أنّه يجوز النصب في (الرحمن الرحيم) على المــدح ، والرفع على إضمار مبتدأ ، ويجوز خفض الأوّل ورفع الثاني ، ورفع أحدِهما ونصب الآخر[18] .

وأمّا ابــن القيّم فنــراه يــوافق مــا جــاء بــه السهيليّ في بعض كلامــهِ بقــولهِ : « قلت : أسماء الربّ تعالى هي أسماء ونعوت ، فإنّها دالة على صفات كماله ، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية ، فالرحمن اسمه تعالى ، ووصفه ، لا تنافي اسميته وصفيته ، فمن حيث هو صفة جرى تابعاً على اسم الله ، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع ، بل ورد الاسم العلم . ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى ، حسن مجيئه مفرداً غير تابع ، كمجيء اسم الله كذلك ، وهذا لا ينــافي دلالتــه على صفة الرحمن كاسم الله ، فإنّه دالٌ على صفة الإلوهية ، و لم يجيء قط تابعاً لغيره ، بل متبوعاً ، وهذا بخلاف العليم القدير والسميع والبصير ونحوها ، ولهذا لا تجئ هذه مفردة ، بل تابعة ، فتأمل هذه النكتة البديعـــــة ، يظهر لك بها أنّ الرحمـــــن اسم وصفـــــة ، لا ينــافي أحدهما الأخر ، وجاء استعمال القرآن بالأمرين جميعاً »[19] .

ونرى لابن القيّم استدراكاً على كلام السهيليّ بقولهِ : « وأمّا الجمع بين الرحمـــــن الرحيم ففيه معنىً ، هـــو أحسن من المعنيين اللذين ذكرهما (السهيليّ) ، وهو أنّ الرحمن دالٌ على الصفة القائمة به سبحانه ، والرحيم دالٌ على تعلقهما بالمرحوم ، فكأنّ الأوّل للوصف ، والثاني للفعــل ، فالأوّل دالٌ على أنّ الرحمة صفته ، والثاني دالٌ على أنّه يرحم خلقه برحمته ، وإذا أردتَ فهم هذا ، فتأمل قوله :﴿وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ﴾[الأحزاب : 33]و﴿إِنَّهُۥبِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾[التوبة : 117] . و لم يجئ قط (رحمن بهم) فعَلِمَ أنّ رحمن هو الموصوف بالرحمة ، ورحيم هو الراحم برحمته »[20] . بيدَ أنّ الدكتور فاضل صالح السامرائي أورد رأياً ذاكراً فيه أنّ صيغــــة (فعــــــلان) تدلُّ على الصفات المتجددة ، وذلك نحو : عطشان وجوعان وغضبان ونحوها ، فإنّ

العطش في : عطشان ، ليس صفة ثابتة بل يزول ويتحول وكذلك جوعان ... ، بخلاف : (فعيل) فإنَّه يدلُّ على الثبوت وذلك نحو : كريم وبخيل وطويل فإنَّ هذه صفات ثابتة فليس (طويل) مثل : (عطشان) في الوصف فجمع الله سبحانه لذاته الوصفين . إذ لو اقتصر على (رحمن) ؛ لظنَّ ظانٌّ أنَّ هذه صفة طارئة قد تزول كعطشان وريان . ولو اقتصر على (رحيم) ؛ لظنَّ أنَّ هذه صفة ثابتة ولكن ليس معناها استمرار الرحمة وتجددها ، إذ قد تمر على الكريم أوقات لا يكرم فيها وقد تمر على الرحيم أوقات كذلك . والله تعالى متصف بأوصاف الكمال فجمع بينهما حتّى يعلم العبد أنَّ صفته الثابتة هي الرحمة ، وأنَّ رحمته مستمرة متجددة لا تنقطع ، حتى لا يستبد به الوهم بأنَّ رحمته تعرض ثم تنقطع أو قد يأتي وقت لا يرحم فيه سبحانه فجمع الله كمال الاتصاف بالرحمة لنفسه[21] .

يُفهم من هذا أنَّ « الرحمن » اسمٌ وصفةٌ ، ويأتي مفرداً بعكس الصفات الأخرى التي يتصف بها ربُّ العزةِ فإنَّها تأتي تابعةً وغير مفردةٍ ، وبناؤه يدلُّ على التجدد والحدوث ، أمّا « الرحيم » فبناؤه يدلُّ على الثبوت . والله أعلم .

ب- حذف التاء وتركها في قوله تعالى : ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ و﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ في سورة هود :

قال السهيليُّ : « فإن قيل : فإذا استوى ذكر (التاء) وتركها في الفعل المفعول عن الفاعل المؤنث ، فما الحكمة لاختصاصها في الفعل في قصة شعيب ،وحذفها في قصة صالح فيقوله:﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾[هود : 67] ؟ . فالجواب : إنَّ الصّيْحة في قصة صالح في معنى العذاب والخزي ، إذ كانت منتظمة بقولهِ سبحانه وتعالى : ﴿وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦﴾[هود : 66]، فصارت الصّيْحة عبارة عن ذلك الخزي وعن العذاب المذكور في الآية ، فقوي التذكير ، بخلاف الآية الأخرى »[22] .

وأورد النحاس في كتابه أنَّه ذكّر الفعل ؛ لأنَّ الصّيْحة والصياح واحد[23] . يُفهم من هذا القول إنَّه أراد بالصّيْحة المصدر ، أي : بمعنى الصياح .

وذكر الباقولي أنَّه جاء بالتاء في قصة شعيب وتركها في قصة صالح ؛ لأنَّ الفصلَ إذا حصل فإنَّ ترك العلامة يزداد حسناً . ولكنَّ الوجهين إنَّما جاء في التنزيل طلباً للمشاكلة والمطابقة . فقد جاء هاهنا (وأخذت) ؛ لأنَّ بعدها ﴿كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ٩٥﴾[هود : 95][24] .

وأرى أنَّ ما ذهب إليه الباقولي غير دقيق ؛ لأنَّ الفصلَ بين الفعل والفاعل واحد ، والفاعل نفسه لم يتغير ، إذاً فالفاصل موجود في كلتا الآيتين فلِمَ لم يترك العلامة في قصة شعيب ليزداد حسناً .

أمّا موقف ابن القيّم من قول السهيليّ فقد ذهب فيه مذهب المستدرك ، إذ قال : « وعندي فيه جواب أحسن من هذا إن شاء الله ، وهو أنَّ الصّيْحة يراد بها المصدر بمعنى الصياح ، فيحسن فيها التذكير ويراد بها الواحدة من المصدر فيكون التأنيث أحسن . وقد أخبر تعالى عن العذاب الذي أصاب به قوم شعيب بثلاثة أمور كلها مؤنثة اللفظ ، أحدها : الرجفة في قولهِ في الأعراف : ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨﴾[الأعراف : 78]. الثاني : الظلة بقولهِ : ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾[الشعراء : 189] . الثالث : الصّيْحة : ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾[هود : 94]، وجمع لهم بين الثلاثة ، فإنَّ الرجفة بدأت بهم فأصحروا إلى الفضاء خوفاً من سقوط الأبنية عليهم ، فصهرتهم الشمس بحرها ، ورفعت لهم

الظلة ، فأهرعوا إليها يستظلون بها من الشمس ، فنزل عليهم منها العذاب ، وفيه الصّيحة ، فكان ذكر الصّيحة مع الرجفة ، والظلة أحسن من ذكر الصياح ، وكان ذكر التاء ، والله أعلم »[25] .

وابن القيّم مسبوق بهذا ، فقد سبقه الخطيب الأسكافي[26]، والكرماني[27] .

وهذا الكلام فيه نظر :[28]

والصواب : إنّ مدين ذكر عنهم سبحانه أنّهم أخذتهم الصيحة ، وأنّهم أخذتهم الرجفة ، وأمّا عذاب يوم الظلة ، فإنّه لم يُصب مدين ، وإنّما أصاب أصحاب الأيكة ، قال تعالى فيهم : ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾[الشعراء : 189]وكلاهما أرسل إليهما شعيب هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى أنّ (الرجفة) أخذت قوم صالح أيضاً ، قال تعالى فيهم :﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾[الأعراف : 78] فهذا التعليل فيه نظر .

وإنّه عبّر عن عذاب قوم صالح بالخزي فقال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ﴾[هود :66] .

والخزي مذكر فناسب التذكير في قوم صالح .

وأمّا اختيار التذكير والتأنيث في كلّ موضع فله أكثر من سبب منها :

1. إنّ التعقيب على قوم صالح وعقابهم أشدّ ممّا ذكره في قوم شعيب فقد قال في قوم صالح : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾[هود : 66- 68].

وقال في قوم شعيب :

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾[هود : 94-95]. ومن النظر في النصين يتبين لنا ما يأتي :

أ- إنّه قال في قوم صالح : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ . وقال في مدين : ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ ، والفاء تفيد التعقيب ذلك أنّه قال على لسان نبيها صالح : ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾[هود : 64] .

فناسب التوعد بالعذاب القريب ذكر الفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب ، ثُمَّ إنّ نبيهم توعدهم بعد عقر الناقة بالعذاب بعد ثلاثة أيام ، فلمّا انقضت الأيام الثلاثة حلّ بهم العذاب ، فناسب ذلك أيضاً ذكر الفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب ، وليس الأمر كذلك في مدين فناسب ذكر الواو .

ب- وذكر قوة الله سبحانه وعزته تعقيباً على هلاك قوم صالح فقال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ ، و لم يذكر مثل ذلك في قوم شعيب .

ج- وقال في قوم صالح : ﴿ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ﴾ ، و لم يقلْ مثل ذلك في قوم شعيب .

فاتضح أنّ التعقيب على قوم صالح كان أشدّ فجاء في عقوبتهم بلفظ التذكير فقال : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾ ؛ لأنّ المذكر أقوى من المؤنث وهو الأصل كذلك .

2. وعلاوة على كل ذلك فإنَّ قصة قوم شعيب في هذه السورة أطول من قصة قوم صالح ، فإنَّ قصة قوم صالح ثماني آيات من الآية الحادية والستين إلى الآية الثامنة والستين . وإنَّ قصة مدين اثنتا عشرة آية من الآية الرابعة والثمانين إلى الآية الخامسة والتسعين ، وإنَّ كلمة (أخذت) أطول من (أخذ) فناسب الكلمة الطويلة طول القصة من جهة أخرى .

3. وردت كلمة (العذاب) في قوم صالح في القرآن الكريم أكثر ممّا وردت في مدين ، فإنّها وردت في قوم صالح سبع مرات وهي :

قوله تعالى : ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾[الأعراف : 73]

وقوله : ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾[هود : 64]

وقوله : ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾[الشعراء : 156]

وقوله : ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾[الشعراء : 158]

وقوله : ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾[فصلت : 17]

وقوله : ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾﴾[القمر : 30]

وقوله : ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾[الفجر : 13]

ووردت في أهل مدين مرة واحدة ، وذلك قوله تعالى : ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾[هود : 93] .وإنَّ من معاني(الصّيْحة) في اللغة(العذاب)[29] ، فذكّر الصيحة في قوم صالح إشارةً إلى معنى العذاب ، ومناسبةً لذكره الذي تكرر فيهم ، و لم يكن الأمر كذلك بالنسبة إلى قوم شعيب أهل مدين فجاء بالفعل على لفظ الصيحة وهو التأنيث .

جـ- بناء « الذينَ » :

عرض السهيليّ هذه المسألة بقولهِ : « فإن قيل : فما بالهم بنوا الجمع – أعني الذين – وهو على حدّ تثنية ، وفيه علامة الإعراب ؟ قلنا : الجمع يفارق التثنية من وجهين ، أحدهما : إنَّ الجمع قد يكون إعرابه كإعراب الواحد بالحركات ، نعم ، وقد يكون الجمع اسماً واحداً في اللفظ كقولكَ : قوم ورهط . الثاني : إنَّ الجمع في حال نصبه وخفضه يضارع لفظه لفظ الواحد ، من حيث كان آخره ياء مكسوراً ما قبلها ، فحملوا الرفع الذي هو أقل حالاته على النصب والخفض ، وغلبوا عليهِ البناء ، حيث كان لفظه في الإعراب في أغلب أحواله كلفظه في البناء .

وليس كذلك التثنية ؛ لأنَّ ياءها مفتوح ما قبلها ، فلا يضارع لفظها في شيءٍ من أحوالها لفظ الواحد .

وأمّا النون في (الذين) فلا معتبر بها ، لأنَّها ليست في الجمع ركناً من أركان صيغته ، لسقوطها في الإضافة وفي ضرورة الشعر ، كما قال: [من الطويل]

وَإنَّ الذي حانَتْ بِفَلْجٍ دِماؤُهُمْ هُمُ القَوْمُ كُلُّ القَوْمِ يا أُمَّ خَالِدِ[30]»[31]

وأرى أنَّ ما ذهب إليه الإمام السهيليّ غير دقيق ؛ لأنَّ الجمع وإن كان اسماً واحداً في اللفظ كقولك : قوم ورهط إلا أنَّه يأتي معرباً بعكس (الذين) الذي يأتي مبنياً دائماً .

ممّا دفع ابن القيّم أنْ يستدركَ على السهيليّ بقولهِ : « وعندي فيه علة ثانية وهي : إنَّ التثنية في (الذين) خاصة من خواص الاسم قاومت شبه الحرف ، فتقابل المقتضيان ، فرجع إلى أصله فأعرب ، بخلاف (الذين) فإنَّ الجمع وإنْ كان من خواص الأسماء ، لكن هذه الخاصة ضعيفة في هذا الاسم لنقصان دلالته مجموعاً عمّا يدل عليه مفرداً ، فإنَّ (الذي) يصلح للعاقل وغيره ، و (الذين)

لا يستعمل إلا للعقلاء خاصة ، فنقصت دلالته فضعفت خاصيّة الجمع فيه ، فبقي موجب بنائهِ على قوتهِ ، وهذا بخلاف المثنى ، فإنَّه يقال على العاقلين وغيرهما فإنَّك تقول : الرجلان اللذان لقيتهما والثوبان اللذان لبستهما ، ولا تقول : الثياب الذين لبستهم ، وعلى هذا التعليل فلا حاجة بنا إلى ركوب ما تعسفه رحمه الله من مضارعة الجمع للواحد وشبهه به ، وتكلف الجواب عن تلك الاشكالات ، والله أعلم »[32] . وسُبِقَ ابن القيّم بهذا التعليل ، فقد سبقه ابن مالك إذ زاد على هذا التعليل أنَّ العرب لم تجمع على ترك إعراب الذين ، بل إعرابه في لغة هذيل مشهور فيقولون : نصرتُ الذين آمنوا على الذين كفروا ، وعلى كلٍّ حال ففي « الذي والذين » شبه بالشجي والشَّجين في اللفظ وبعض المعنى فلذلك لم تجمع العرب على ترك إعراب « الذين »[33] . ووافق المراديّ ابن القيّم وابن مالك بهذا التعليل[34] .

وعندي أنَّ ما ذهب إليه ابن القيّم ومن سبقه ووافقه هو الأصوب . والله أعلم .

د- قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ ﴾:

قال السهيليُّ في كتابهِ : « فأمَّا قوله سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ ﴾[الحديد : 3] ، فلأنَّها ألفاظ متضادة المعاني في أصل موضوعها ، فكان دخول (الواو) صرفاً لوهم المخاطب – قبل التفكّر والنظر – وعن توهم المحال ، واجتماع الأضداد من المحال ؛ لأنَّ الشيء لا يكون ظاهراً باطناً من وجه واحد ، وإنَّما يكون ذلك من وجهين مختلفين ، فكان العطف هاهنا أحسن من تركه ، لهذه الحكمة الظاهرة »[35] بيدَ أنَّ الزمخشري أورد سؤالاً ما نصّه : « فإن قلت : فما معنى الواو ؟ قلت : الواو الأولى معناها الدلالة على أنَّه الجامع بين الصفتين الأوّلية والآخرية ، والثالثة على أنَّه الجامع بين الظهور والخفاء . وأمَّا الوسطى ، فعلى أنَّه الجامع بين مجموع الصفتين الأوّليين ومجموع الصفتين الأخريين ، فهو المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية ، وهو في جميعها ظاهر وباطن : جامع للظهور بالأدلة والخفاء ، فلا يدرك بالحواس »[36] .

أمَّا ابن القيّم فقد ذهب مذهباً أحسن من مذهب السهيليّ بقولهِ : « وأحسن منه أن يقال : لما كانت هذه الألفاظ دالة على معاني متباينة ، وأنَّ الكمال في الاتصاف بها على تباينها أتى بحرف العطف الدال على التغاير بين المعطوفات ؛ إيذاناً بأنَّ هذه المعاني مع تباينها فهي ثابتة للموصوف بها ، ووجه آخر وهو أحسن منها وهو أنَّ الواو تقتضي تحقيق الوصف المتقدم ، وتقريره يكون في الكلام متضمناً لنوع من التأكيد من مزيد التقرير ، وبيان ذلك بمثال نذكره مرقاة إلى فهم ما نحن فيه : إذا كان لرجل مثلاً أربع صفات ، هو عالم وجواد وشجاع وغني ، وكان المخاطب لا يعلم ذلك أو لا يقرُّ به ويعجب من اجتماع هذه الصفات في رجل ، فإذا قلت : زيدٌ عالمٌ وكان ذهنه استبعد ذلك ، فتقول : وجواد ، أي : وهو مع ذلك جواد ، فإذا قدرت استبعاده لذلك قلت : وشجاع ، أي : وهو مع ذلك شجاع وغني ، فيكون في العطف مزيد تقرير وتوكيد لا يحصل بدونه تدرأ به توهّم الإنكار »[37] .

فالواو هنا أفادت قطع هذا التوهّم الحاصل ، وأثبتت أنَّ الموصوف بالأوّلية هو الموصف بالآخرية ، وأنَّ الموصوف بالظاهر هو أيضاً موصوف بالباطن ، فكأنَّه قيل : هو الأوّل وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن لا سواه[38] .

وبعد الذي أوردناه يمكن أن يقال : الحقّ هو ما ذهب إليه العلماء من أنَّ (الواو) تفيد هنا قطع الوهم وصرفه عن المخاطب ، وتقتضي تقرير الوصف في الكلام متضمناً لنوع من التأكيد والتقرير ، وأفادت أيضاً الجمع بين الصفات الثابتة لله تعالى ، فالمعروف أنَّ للواو معانيَ كثيرة ، ومن معانيها مطلق الجمع ، فجمعتْ بينهن على أحسنِ جمعٍ . والله أعلم بالصواب .

هـ- الفاء العاطفة :

قال السهيليُّ : « وأمَّا (الفاء) فهي موضوعة للتعقيب ، وقد تكون للتسبيب والترتيب ، وهما راجعان إلى معنى التعقيب ؛ لأنَّ الثاني بعدهما أبداً إنَّما يجيء في عقب الأوّل ، والتسبيب نحو : (ضربتُه فبكى) ، والترتيب مثل قوله سبحانه وتعالى :

﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾[الأعراف : 4]، دخلت الفاء لترتيب اللفظ ؛ لأنَّ الهلاك يجب تقديمه في الذكر ؛ لأنَّ الاهتمام به أولى ، وإن كان مجيء البأس قبله في الوجود . ومثله : [من الخفيف]

إنَّ مَنْ سادَ ثُمَّ سادَ أبوهُثُمَّقد سادَ بَعْدَ ذَلِكَ جَدُّهْ[39]

دخلت (ثُمَّ) لترتيب الكلام ، لا لترتيب المعنى في الوجود »[40] .

في حين ذهب الزمخشري إلى أنَّ (الفاء وثُمَّ) ، للجمع ، لكن مع الترتيب ، نحو : جاءني زيدٌ فعمروٌ ، أو : ثُمَّ عمروٌ ، أي : اجتمعا في المجيء وكان مجيء عمرو بعد مجيء زيدٍ ، والفرق بينهما أنَّ في (ثُمَّ) تراخياً دون (الفاء)[41] .

ويرى ابن مالك أنَّ معنى الفاء قد يكون السببية مع مُهلة ، كقولهِ تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾[الحج : 63]. وقد تقع (الفاء) موقع (ثُمَّ) ، كقولهِ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾[المؤمنون : 12-14] ، فالفاء من : فخلقنا ، ومن : فكسونا ، واقعة موقع (ثُمَّ) لما في معناه من المهلة ، ولذلك جاءتْ (ثُمَّ) بدلها في أوّل سورة الحج[42] . ونقل المراديّ كلام الفرّاء بقولهِ : « وذهب الفرّاء[43] إلى أنَّ ما بعد الفاء قد يكون سابقاً ، إذا كان في الكلام ما يدلُّ على ذلك . كقولهِ تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾[الأعراف : 4] ، والبأس في الوجود واقع قبل الإهلاك »[44] . وهذا الكلام غير دقيق ؛ لأنَّ ابن القيّم – رحمه الله – فصّل القول في هذه الآية ، وذكر أحسن الوجوه في تقديرها كماسيأتي .

وقال المراديّ أيضاً : « وذهب بعضهم إلى أنَّ (الفاء) قد تأتي لمطلق الجمع ، كالواو . وقال به الجرميّ[45] في الأماكن والمطر خاصة . كقولهم : عفا مكانُ كذا فمكان كذا ، وإنْ كان عفاؤهما في وقت واحد . ونزل المطر بمكان كذا فمكان كذا ، وإن كان نزوله في وقت واحد »[46] .

أمَّا ابن القيّم فقد عقّب على الآية التي ذكرها السهيليّ مستدركاً عليه بقولهِ : « وعندي في الآية تقديران آخران أحسن من هذا ، أحدهما : أنْ يكون المراد بالإهلاك إرادة الهلاك ، وعبّر بالفعل عن الإرادة وهو كثير ، فترتّب مجيء البأس على الإرادة ترتيب المراد على الإرادة ، والثاني : وهو ألطف أنْ يكون الترتيب ترتيب تفصيل على جملةٍ ، فذكر الإهلاك . ثُمَّ فصله بنوعين ، أحدهما : مجيء البأس بياتاً ، أي : ليلاً ، والثاني : مجيئه وقت القائلةِ ، وخصَّ هذين الوقتين ؛ لأنَّهما وقت راحتهم وطمأنينتهم ، فجاءهم بأس الله أسكن ما كانوا وأروحه في طمأنينتهم وسكونهم ، على عادته سبحانه في أخذ الظالم في وقت بلوغ آماله وكرمه وفرحه وركونه إلى ما هو فيه »[47] ، والله أعلم بالصواب .

و– « كلتُ لزيدٍ ووزنتُ له » :

عند كلام السهيليّ على (كلتُ لزيدٍ ووزنتُ له) ، قال : « وأمَّا (كلتُ لزيدٍ ، ووزنتُ له) فمفعولها غير (زيد) ؛ لأنَّ مطلوبهما ما يكال أو يوزن فالأصل دخول اللام ، ثُمَّ قد يحذف لزيادة فائدة ؛ لأنَّ كيل الطعام ووزنه يتضمن معنى المبايعة والمعارضة إلا مع حرف اللام ، فإنْ قلت : (كلتُ لزيدٍ) ، أخبرت بكيل الطعام خاصة ، وإذا قلت : (كلتُ زيداً) فقد أخبرت بمعاملة ومبايعة مع الكيل ، كأنَّك قلت : بايعتُ زيداً بالكيل والوزن ، قال الله – سبحانه وتعالى – : ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾[المطففين : 3]،أي : بايعوهم كيلاً ووزناً . وأمَّا قوله : ﴿اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾[المطففين : 2] ، فإنَّما دخلت (على) ؛ لتؤذن أنَّ الكيل على البائع للمشتري ، ودخلتْ التاء في (اكتالوا) ؛ لأنَّ افتعل في هذا الباب كلّه للأخذ ؛ لأنَّها زيادة على الحروف الأصلية

تؤذن بمعنى زاد على معنى الكلمة ؛ لأنَّ الآخذ للشيء كالمبتاع والمكتال والمشتري ونحو ذلك يدخل فعله من التناول والاحتراز إلى نفسه والاحتمال إلى رحله ما لا يدخل فعل المعطي والبائع ، ولهذا قال سبحانه : ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾[البقرة : 286] يعني من الحسنات ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[البقرة : 286] ، يعني من السيئات ؛ لأنَّ الذنوب يوصل إليها بوساطة الشهوة والشيطان ، والحسنة تنال بهبة من الله تعالى من غير وساطة شهوة ولا إغواء عدو ، فهذا الفرق بينهما »[48] .

وافقه أبو حيان ، وزاد عليهِ بقولهِ : « والصحيح عند أهل اللغة أنَّ الكسب والاكتساب واحد ، والقرآن ناطق بذلك قال الله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[المدثر : 38] ، وقال : ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾[الأنعام : 164]، وقال : ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾[البقرة : 81]، وقال : ﴿بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾[الأحزاب : 58]ومنهم مَنْ فرّق فقال : الاكتساب أخصُّ من الكسب ؛ لأنَّ الكسب ينقسم إلى كسب لنفسهِ ولغيرهِ ، والاكتساب لا يكون إلا لنفسهِ ، ويقال : كاسب أهله ولا يقال مكتسب أهله ، قال الشاعر[49] : [من البسيط]

غَيَّبْتَ كَاسِبَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ

هذا ما قاله أبو حيان »[50] . ثُمَّ أوردَ سؤالاً يقول فيه : « فإنْ قلت : لِمَ خصَّ الخير بالكسب والشر بالاكتساب ؟ قلت : في الاكتساب اعتمال ، فلمّا كان الشر ممّا تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه ، وأمّارة به كانت في تحصيله أعمل وأجدّ ، فجعلت لذلك مكتسبة فيه ، ولّما لم تكنْ كذلك في باب الخير ، وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال »[51] . وهذا القول سابق لكلام ابن القيّم الذي وافقه فيه ، وأدرك به على السهيليّ كما سنذكر .

وذهب ابن القيّم مستدركاً على السهيليّ بقولهِ : « وفيه فرق أحسن من هذا ، وهو أنَّ الاكتساب يستدعي التعمل والمحاولة والمعاناة ، فلم يجعلْ على العبد إلا ما كان من هذا القبيل الحاصل بسعيه ومعاناته وتعمله . وأمّا الكسب فيحصل بأدنى ملابسة حتى بالهمِّ بالحسنة ونحو ذلك ، فخصَّ الشرّ بالاكتساب والخير بأعم منه ، ففي هذا مطابقة للحديث الصحيح : (إذا همَّ عبدي بحسنة فاكتبوها وإنْ همَّ بسيئة فلا تكتبوها)[52] ،وأمّا حديث الواسطة وعدمها فضعيف ؛ لأنَّ الخير أيضاً بوساطة الرسول والمَلَكِ والإلهام والتوفيق ، فهذا في مقابلة وسائط الشر ، فالفرق ما ذكرناه ، والله أعلم »[53] . ووافقه بهذا القول القاسمي في كتابه محاسن التأويل[54] . وعندي أنَّ ما ذهب إليه جهابذة العلم من أنَّ الكسب يختص به الخير ، والاكتساب هو ما يختص به الشر وما شابهه هو الأرجح ، والله أعلم .

خاتمة البحث :

تتضمن هذه الخاتمة عرض ما توصلنا إليه من نتائج يمكن ترتيبها على النحو الآتي :

1. أخذ ابن قيّم الجوزية في استدراكه ألواناً عَبَّرَ عنها بعبارات وألفاظ شغلت الحيّز الكبير من الشرح ، واستدراكاته لم تكن مقتصرةً على مسائل خاصة بل تعدّى ذلك إلى مختلف المسائل اللغوية والصرفية والنحوية التي استدرك فيها على السهيليّ الذي سبقه ، بل تعدّاها إلى تناول قصور عبارة السهيليّ وضعفها ، وما فيها من غموض وتعقيد ، لذلك لجأ ابن القيّم إلى استكمال ما جاء به السهيليّ ، وسدّ ثغراته مستدركاً على ما فات السهيليّ أو غفل عنه من آراءٍ وأقوالٍ ومعانٍ كانت غافلة عنه .
2. لم يكنْ ابنُ القيِّم مجردَ ناقلٍ لآراء غيره ، بل كانت له شخصية علمية واضحة بحتة ، واتضح ذلك من خلال الاستدراكات التي أوردها ، إذ استعمل عبارات منها : وعندي فيه جواب أحسن ، ويحتمل عندي تقديرين آخرين ، وفيه فرق أحسن من هذا .

3. لقد وظّف ابن القيّم ما استدركه على السهيليِّ بدقة متناهية حتى أنَّك لا تميز بين قول السهيليِّ وقول ابن القيّم إلا بالرجوع إلى النصوص المحتكمة بينهما فكان على دراية ممّا يقوله مستنداً بذلك على ما أورده من شواهد قرآنية ، وأحـــاديث نبوية ، وشعر عربي فصيح .

وبعدُ فلستُ بزاعمٍ أنّني أدَّيتُ للبحث كلّ ما له من حقٍّ عليَّ ، ولكنَّني أزعمُ أنّني بذلتُ فيه جهدي ما وسعني ذلك ، وقدّمتُ إشاراتٍ بارزةً توجّه الدارسين نحو كتابين جليلين من كتب العربية ، فيهما من فنون العلم ما نفتقده في كثيرٍ من كتب النحو والصرف خاصة .

والمأمول من المتحلين بحلي الإنصاف ، والمتخلين عن البغي والاعتساف إذا عثروا على شيء زلتْ فيه القدمُ أو طغى به القلم أنْ يستحضروا أنَّ لكلِّ جوادٍ كبوة ، ولكلِّ صارمٍ نبوة .

الهوامش

(1) ينظر : الصحاح ، مادة (درك) : 1582/4 .

(2) لسان العرب ، مادة (درك) : 1364/16 .

(3) الكليات : 94 .

(4) ينظر في ترجمته : ذيل طبقات الحنابلة : 447/2- 450 ، وشذرات الذهب : 168/6 – 171 ، والوافي بالوفيات : 271/2 ، وبغية الوعاة : 56/1 ، وعلل التعبير القرآني في بدائع التفسير (رسالة ماجستير) : 4- 12 .

(5) ينظر في ترجمته : المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية : 230 ، وبغية الوعاة : 115/2 .

(6) ابن الطراوة : يحيى بن محمد ، ينظر : بغية الوعاة : 337/2 .

(7) كتب السهيليّ : الروض الأنف في شرح السيرة ، وشرح الجمل لم يتم ، والتعريف والأعلام بما في القرآن من الأسماء والأعلام ، ومسألة السر في عور الدجال ، ومسألة رؤية الله والنبي في المنام ، ونتائج الفكر ، والأمالي . ينظر : بغية الوعاة : 115/2 ، وأبو القاسم السهيليّ ومذهبه النحوي : 157 وما بعدها .

(8) المطرب : 231 ، وينظر : بغية الوعاة : 115/2 .

(9) ينظر : بغية الوعاة : 115 /2 .

(10) ينظر : بغية الوعاة : 115/2 .

(11) ينظر : نتائج الفكر : 41 .

(12) الدبران : نجمٌ بين الثريا والجوزاء ، ويقال له التابعُ والتويعُ ، وهو من منازل القمر ، سمّي دبراناً ؛ لأنّه يدبرُ الثريا . ينظر : لسان العرب ، مادة (دبر) : 1320/15 ، والدبران في علم الفلك : خمسة كواكب من الثور يقال : إنّها سنامه وهو من منازل القمر وقيل : نجم بين الثريا والجوزاء . ينظر : المعجم الوسيط : 561/1 .

(13) يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي أبــو الحجاج المعـــروف بالأعلم (ت 476هـــ) . ينظر : الأعلام : 233/8 . ينظر : البحر المحيط : 128/1 .

(14) نتائج الفكر : 42 .

(15) ينظر : الفائق في غريب الحديث : 2/ 378 .

(16) نتائج الفكر : 42 – 43 ، وينظر : البحر المحيط : 128/1 .

(17) ينظر : معاني القرآن إعرابه : 43/1 – 44 .

(18) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : 12.

(19) بدائع الفوائد : 37 .

(20) بدائع الفوائد : 37 – 38 .

(21) ينظر : التعبير القرآني : 39 – 40 .

(22) نتائج الفكر 131 – 132 ، وينظر : معاني النحو : 59/2 .

(23) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : 423 ، ودرّة التنزيل وغرّة التأويل : 224 .

(24) ينظر : كشف المشكلات وإيضاح المعضلات : 59/1 .

(25) بدائع الفـــوائد : 113 ، وينظر : تفسير حدائق الروح والريحان : 142/13، ومعاني النحو : 59/2 .

(26) ينظر : درّة التنزيل وغرّة التأويل : 224 – 225 .

(27) ينظر : البرهان في توجيه متشابه القرآن : 146 .

(28) ينظر : أسئلة بيانية : 93 – 96 .

(29) ينظر : لسان العرب ، مادة (صيح) : 2532/28 .

(30) البيت للأشهب بن رميلة وقيل : غير ذلك . ينظر البيت في : الكتاب : 187/1 ، والمقتضب : 146/4 ، وشرح المفصل : 155/3 ، ومغني اللبيب : 218/1 ، 633/2 ، وشرح التصريح على التوضيح : 149/1 . والشاهد في البيت حذف النون من « الذين » استخفافاً ؛ لطول الاسم بالصلة . ويروى : « وإنّ الألى » فلا شاهد فيه . وقيل : إنّ « الذي » مفرد عبر به عن الجمع ، فعاد الضمير إليه محمولاً على المعنى ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾(الزمر:33) . ينظر : هامش كتاب سيبويه : 187/1 ، وشرح المفصل : 156/3 .

(31) نتائج الفكر : 138 – 139 .

(32) بدائع الفوائد : 116 – 117 .

(33) ينظر : شرح التسهيل : 209/1 .

(34) ينظر : توضيح المقاصد والمسالك : 424/1 – 425 .

(35) نتائج الفكر : 187 .

(36) الكشاف : 42/6 – 43 ، وينظر : البحر المحيط : 216/8 – 217 ، والدر المصون : 235/10 – 236 ، وتفسير حدائق الروح والريحان : 437/28 ، وروح المعاني : 166/27 .

(37) بدائع الفوائد : 160 – 161 .

(38) ينظر : المصدر نفسه : 161 .

(39) البيت في مغني اللبيب : 136/1 ، وهو لأبي نواس برواية : «قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ قَبْلَهُ ثُمَّ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهْ» ينظر : ديوانه : 162/1.

(40) نتائج الفكر : 196 – 197 .

(41) ينظر : شرح الأنموذج : 182 ، وشرح المفصل : 94/8 – 95 .

(42) ينظر : شرح التسهيل : 242/3 ، ومغني اللبيب : 184/1 .

(43) ينظر : معاني القرآن للفرّاء : 280/1 .

(44) الجنى الداني : 62 ، وينظر : مغني اللبيب : 183/1 ، وشرح التصريح على التوضيح : 161/2 .

(45) الجرمي : هو أبو عمر ، صالح بن إسحاق ، توفى سنة (225هـ) . ينظر : بغية الوعاة : 55/2 .

(46) الجنى الداني : 63 ، ومغني اللبيب : 183/1 ، وشرح التصريح على التوضيح : 161/2 .

(47) بدائع الفوائد : 164 .

(48) نتائج الفكر : 272 .

(49) هو الحطيئة جرول بن أوس ، وعجزه : فاغْفِرْ عَلَيْكَ سلامُ الله يا عُمَرُ . ينظر : ديوانه : 192 .

(50) البحر المحيط : 381/2 – 382 ، وينظر : الدر المصون : 2/ 699 .

(51) المصدر نفسه : 382/2 ، وينظر : الدر المصون : 699/2 .

(52)ينظر : صحيح ابن حبّان : 104/2 ، (380) برواية : (إذا همَّ عبدي بحسنة فاكتبوها حسنة فإذا عملها فاكتبوها بعشر أمثالها وإذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها بمثلها فإنْ تركها فاكتبوها حسنة) .

(53) بدائع الفوائد : 233 – 234 .

(54) ينظر : محاسن التأويل : 731/3 – 732 .

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم بروايةِ حفصٍ عن عاصم .

1. أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي ، د. محمد إبراهيم البنا ، دار البيان العربي ، ط1 ، 1405هـ – 1985م .
2. أسئلة بيانية في القرآن الكريم ، د. فاضل صالح السامرائي ، مكتبة الصحابة ، الإمارات – الشارقة ، ط1 ، 1429هـ – 2008م .
3. أسرار التكرار في القرآن المسمّى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، محمود بن حمزة الكرماني (ت 505هـ) ، دراسة وتحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، دار الفضيلة .

4. إعراب القرآن ، لأبي جعفر النّحاس (ت 338هـ) ، اعتنى به الشيخ خالد علي ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1427هـ - 2006م .
5. الأعلام ، خير الدين الزركلي (ت 1957هـ) ، دار العلم للملايين ، ط15 ، 2002م .
6. بدائع الفوائد ، لأبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية (ت 751هـ) ، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه : بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان ، ط2 ، 1425هـ - 2004م .
7. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) ، تح/ مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1425هـ - 2004م .
8. التعبير القرآني ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار عمار ، ط4 ، 1427هـ - 2006م .
9. تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ) ، دراسة وتحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، شارك في تحقيقه : د. زكريا عبد المجيد النوني و د. أحمد النجولي الجمل ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1413هـ - 1993م .
10. تفسير القاسمي المسمّى محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، علّق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، ط1 ، 1376هـ - 1957م .
11. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، محمد الأمين بن عبد الله الهرريّ الشافعيّ ، إشراف ومراجعة : د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، دار طوق النجاة ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1421هـ - 2001م .
12. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، الحسن بن قاسم المرادي (ت 749هـ) ، شرح وتحقيق : الأستاذ الدكتور عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي ، ط1 ، 1422هـ - 2001م .
13. الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي(ت 749هـ) ، تح/ د. فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1413هـ - 1992م .
14. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ) ، تح/ د. أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق .
15. درّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، للخطيب الاسكافي (ت 420هـ) ، برواية ابن أبي الفرج الأردستاني ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، ط2 ، 1977م .
16. ديوان أبي نواس (ت 200هـ) ، نقحه وصححه الأستاذ محمد علوة ، المركز الثقافي اللبناني ، (د. ت) .
17. ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت (ت 246هـ) ، تح/د. نعمان محمد أمين طه ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط1 ، 1407هـ - 1987م .
18. ذيل طبقات الحنابلة ، لابن رجب الحنبلي (ت 895 هـ) ، صححه : محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، 1372هـ - 1952م ،(د . ط) .
19. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (ت 1270هـ) ، عنيت بنشره وتصحيحه إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .

20. شـــذرات الـــذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت 1089هـــ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ،(د . ط) ، (د . ت) .

21. شرح الأنموذج في النحو ، للزمخشري (ت 538هـــ) ، بشرح الأردبيلي جمال الدين محمد بن عبد الغني ، حققه وعلّق عليه : د. حسني عبد الجليل يوسف ، مكتبة الآداب 42 ميدان الأوبرا بالقاهرة .

22. شرح التسهيل تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ابن مالك الأندلسي (ت 672هـــ) ، تح/ أحمـــد السيـــد سيد أحمـــد علي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة – مصر .

23. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو ، خالد بن عبد الله الأزهري (ت 905هـــ) ، تح/ محمد باسل عيون الســـود ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1427هـــ - 2006م .

24. شرح المفصل ، ابن يعيش النحوي (ت 643هـــ) ، إدارة الطباعة المنيرية ،(د.ت) .

25. الصحاح تـــاج اللغة وصحـــاح العربية ، إسماعيـــل بن حمّاد الجوهري(ت 398هـــ) ، تح/ أحمد عبد الغفـــور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط4 ، 1990م .

26. صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبّان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت 354هـــ) ، تح/ شعيب الأرنـــؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1414هـــ - 1993م .

27. علل التعبير القرآني في بدائع التفسير ، ليث شاكر محمود ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، بإشراف الدكتور جاسم محمد سهيل ، 1430هـــ - 2009م .

28. الفائق في غريب الحديث ، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـــ) ،تح/ علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة - لبنان ، ط2 ، (د. ت) .

29. كتاب سيبويه ، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـــ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، (الجزء الأول ، ط4 ، 1425هـــ - 2004م) ، (والجزء الثاني ، ط3 ، 1427هـــ - 2006م) ، (الجزء الثالث والـــرابـــع والخـــامـــس ، ط5 ، 1430هـــ - 2009م) .

30. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـــ) ، تحقيق وتعليـــق ودراســـة : الشيخ عـــادل أحمـــد عبـــد الموجود والشيخ علي محمد معوض، شـــارك في تحقيقـــه الأستـــاذ الدكتـــور فتحي عبد الرحمن أحمـــد حجازي ، مكتبة العبيكان ، ط1 ، 1418هـــ - 1998م .

31. كشف المشكلات وإيضاح المعضلات ، لأبي الحسين علي بن الحسين الأصبهاني الباقولي (ت 543هـــ) ، حققه وعلّق عليه ووضع فهارسه : د. محمد أحمد الدالي ، مطبعة الصباح ، 1415هـــ - 1994م .

32. الكليات ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (ت 1094هـــ) ، تـــح/ د. عـــدنـــان درويش ومحمد المصـــري ، مـــؤسسة الرسالـــة ، ط2 ، 1432هـــ- 2011م .

33. لسان العرب ، لابن منظور (ت 711هـــ) ، تح/ نخبة من العاملين بدار المعارف هم الأساتذة عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف – القاهرة .

34. المطرب من أشعار أهل المغرب ، لابن دحية (ت633هـــ) ، تح/ إبراهيم الابياري وآخرين ، طبعة الأميرية .

35. معاني القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت207هـ) ، حققه وخرّج أحاديثه الشيخ الدكتور عماد الدين بن سيد آل الدرويش ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1432هـ - 2011م .

36. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري(ت 311هـ) ، شرح وتحقيق : د. عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، ط1 ، 1408هـ - 1988م .

37. معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ، شركة العاتك – القاهرة ، ط2 ، 1423هـ - 2003م .

38. المعجم الوسيط ، لإبراهيم مصطفى ،وأحمد الزيات ،وحامد عبد القادر ،ومحمد النجار ، تح/ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، (د. ط) ، (د. ت) .

39. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري(ت 761هـ) ، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، 1428هـ - 2007م .

40. المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ) ، تح/ محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، 1415هـ - 1994م .

41. نتائج الفكر في النحو ، لأبي القاسم عبد الرحمن عبد الله السهيلي (ت 581هـ) ، حققه وعلّق عليه : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1412هـ - 1992م .

42. الوافي بالوفيات :صلاح الدين خليل بن آيبك الصفدي(ت 764هـ) ، تح/ محمد بن إبراهيم بن عمر ، ومحمد بن الحسين بن محمد ، باعتناء : س . ديدرينغ ، دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن ، ط2 ، 1394هـ - 1974م .